التبايدي

الاسلام وانصاره العقلاء

297.04
L11iA

297.04
L11 i A
C.1

الاسلام وأنصاره العقلاء

مقالات اجتماعية

نشرت

تباعاً فى صحيفة الفتح الغراء

الصادرة فى القاهرة

بقلم

محمد رفيق اللبابيدى

« بالجامعة الازهرية »

(الطبعة الاولى)

سنة ١٣٤٥

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

« تطلب من المكاتب الشهيرة »

(ومن المكتبة الوطنية العربية بصفد)

مطبعة القاهرة بشارع منصور لصاحبها محمود محمود شعبان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين (وبعد) فقد منى الشرق بمحن ومصائب أعظمها وقعاً، وأشدها أثراً، هجوم المفترين على عاداته وتقاليده، ونزوع بنيه الى تقليد الغير فيما هذا يستقبحه وينفر منه، وما الشرق إلا بصدره الاسلام، وأمة الاسلام اليوم فرق عدة، لم تبال بقوله تعالى «واعتصموا بحبل الله جميعاً»، فلاقت جزاء وفاقا، ولولا أن القليل من هذه الأمة ذو غيرة، وذو إخلاص لها لرأيت منها الأثر بعد العين، ولبدت لك أطلالها دارسة، وربوعها مقفرة، والعجيب فى أمرها أن المصلح الحكيم، إذا ما قام يدعوها الى الصراط القويم، نفرت منه نفور الطريد من طارده، والغزال من صائده، وولت على الأعقاب، وإذا ماجاءها أحد من أبنائها يحمل اليها من معاول الهدم أدقها حداً، وأسرعها هدماً، ولت وجهها شطره وابتسمت اليه ابتسام الطرب للصوت الشجى، وركضت ورائه الأميال، وما عرفت أن وراء هذا الموت، وضياعها

فى صحارى التقليد، وغرقها فى بحار الانقياد . . .

وهي فى عذر فى ذلك كله ، لأن النفر الذي عليه اصلاحها قد بات فى حطام الدنيا مشغولا ، ولم يعد يبالى بغير كنز الأموال ، وشرائه العقار ، وكأنه ماخلق الا ليكون عاملا لمصلحة نفسه وأن المجتمع ماهو إلا أداة له يصل به الى مرامه ، ولو أن هؤلاء الذين يدعون أنهم هم المصلحون جاءوا عن طريق الاخلاص ، وبادروا الأمة بالعلاج الناجع لما رأوا من الأمة صدوداً ، ولأقبلت عليهم الاقبال الحسن ، وسارت وفق مايرومون ، طائعة ، فى السور الذي يحيطونها به من الخطط الحكيمة ، والسبل المعقولة . . .

ونحن نرى هنا أن فئتين فى الأمة تتصارعان أولاهما تحمل الدين سلاحا ، وأخراهما التقليد زاعمة أنه الحسن والخليق بالأمة الراقية ورامية الفئة الأولي بالجمود . . .

وجميل أن نقلد الغرب ولكن ليس فى كل شيء . . . جميل تقليدنا إن كان فى طياراته ، فى سياراته فى اختراعاته العظيمة ، وعمله على رقيه وإعلاء شأن كلمته ، أما أن نرى الفئة التى تدعو الى التقليد غير ذات دين ، ولا تدعو الى شيء مما نقول فامر نأسف له ، لأن أفرادها ذوو أقلام يستطيعون لو أخلصوا إفادة الامة بل إفادة الشرق الراقد . .

وليس جميلا أن نحاول رمى كل امرىء يقول كلمة بالكفر والالحاد لان ذلك يعود بالضرر على نفسية الأمة ومكانتها ، واذا أردنا أن نهدي بهدى الله كل ضال فليكن كما قال الله تعالى «وجادلهم بالتى هى أحسن »

هذا وإن الدين الاسلامى ، دين حميد بأخلاقه ، عظيم بقانونه حكيم بدستوره ، شهد له بذلك كله ، عقلاء من أبناء الغرب ، وقد أحببنا أن يطلع على اقوالهم كل مسلم ، ليعلم تقدير الاجانب لديننا فيكون اذا ما صدم بمبشر عرف أنه كاذب منافق ، وبملحد ألوى عنه ، وسار بقدم ثابت مطمئناً ، ولا بأس فى اقتفاء أثر كل مصلح إن شاهد أثر إصلاحه ، ولنعمل كلنا على اصلاح بيئتنا اصلاحا اجتماعياً ، ويجب ألا ننظر الى كل مارق يقول بان الدين الاسلامى يناقض كذا ، وسيرى القارىء من المقالات التى بعثنا الى جمعها فى هذا الكتيب الرد على أولئك الكذبة ، أن الدين الاسلامى هو روح الاجتماع ، روح الحياة الديمقراطية الحقة ، وأن الامم فى أوربا وغيرها أصبحت ترجع الى دستوره فى سن الدساتير والى حكم أقوال فطاحله فى أدبها وأخلاقها ، واذا كانت حال أوربا هذه أفلا يجدر بابنائه أن يتمسكوا بحباله ويعتصموا باحكامه . نسأل الله أن يوفق هذه الامة الى مافيه خيرها وصلاحها ؟

محمد رفيق اللبابيدى

الاسلام وأنصاره العقلاء

- ١ -

الاسلام والمبشرون — الأخلاق وسموها فى الشريعة الاسلامية
العبادة وصلتها بقوانين الصحة — الاعتقاد القويم — حاجة العالم
قبل ظهور الرسول اليه ....

كما أن للاسلام من يجحده حقه من أبنائه المارقين الفاجرين له أيضاً من عقلاء أعدائه مناصرون لا يقفون عند مواجهة الحقائق الملموسة مكتوفى الايدى . فلهم فى الدفاع عنه صولات وجولات وحملات على زاعمى البطل وواصمى الاسلام بغير ماهو فيه

ولكم من مفتر كذاب ، حمل على الاسلام بدافع التعصب الذميم ، ونعت المسلمين بما ليس فيهم ، وهو قابع فى داره ، يكتب عن ضلال أو اضلال ، بتمويهات باطلة يقذفها اليه كذبة المبشرين فى ديار المشرق الذين لاهم لهم الا تصوير المسلمين باقبح صورة ليتسنى لهم استمرار رواتبهم ، فيلقى من محبي الحق والانصاف من يلقمه الحجر ويخجله ، لان الحقيقة لاتعدم نصيراً ، والشمس لاتخفى على كل ذى بصر وبصيرة : ولقد تصدي لهؤلاء الكذبه من أبناء جلدتهم من يندد بما يكتبون ويأخذ عليهم ماينشرون

افترى (رينان) على الاسلام ماافتراه فى خطبة ألقاها فى جامعة (السوربون) فانبرى العشرات من أفاضل الافرنج لرد مزاعمه، فقالوا وقالوا مما يشهد لهم بالانصاف والجري وراء الحق، ولو كان ذلك مما يعود عليهم باللوم من أبناء جلدتهم المتعصبين. ولنا أن نحدثك أيها القارىء عن رد أحدهم على ذلك الفيلسوف الذي جعل البحث دائراً على التنديد ولم يذهب الى دليل يقبل وينهض على صحة أباطيله، فقد قيض الله للاسلام حينئذ فى تلك الاصقاع من يأخذ بناصره، وذلك الرجل الذي نذكر اسمه باعجاب ونقدر له هذه الغيرة على الحقيقة هو المسيو بسمير وهو أفرنسى ذو قدم راسخه فى الحكمة والادب والاجتماع. فقد وصف هذا الفاضل الهيئه الاسلاميه بقوله «فربما رأي الناظر فى أثناء الفحص أنه يجب احترام هيئه الجمعيه التى أهلها راضون عنها، وأمورها الادبيه والمعاشية محكمه مدبرة كما هى عليه هيئة الجمعية الاسلامية مهما كانت قيمتها الذاتيه ففيها مساعدة البعض للبعض أمر واجب بالدين، وطلب الاعانة حق، والاجابة فرض. كل امرأة فيها لها بعل وكل طفل يعرف أباه (تأمل . . .) الرجال يمهرون زوجاتهم عوضاً عن أن يبيعوا أنفسهم لهن بمهرهن. دينها يحرم الربا والمقامرة

والفجور ، وعبادتها مبنية على قوانين الصحة كالوضوء الذى يرفع الرجل من الدرجة الحيوانية الى الدرجة الانسانية التى لايصل اليها دائما تلامدة مدارسنا العليا فى الظاهر ، فيها يعد أهل العفه بالالوف ثم يقول « فان أساس الاسلام على حسب العلوم أرفع من أساس الدين النصرانى بقدر مابين الاعتقاد بالله واحد مخالف للحوادث والاعتقاد بالله مركب من ثلاثة آلهة ظهر على وجه الارض فى هيئة الانسان ، كما أنه فى مبدأه كان أنفع لمن اتخذه دينا من النصرانية » واذا تأملت ماقاله هذا الفاضل تجد أن الدين الاسلامى هو الدين الذي يتفق والعقل والعلم أيضاً لا كما يتمشدق ويتقعر به أدعياء الفلسفة فى ديارنا هذه ، وأنه هو الدين الذي يسلم باجتماعياته وأدبياته وأخلاقياته أو لو النظر الثاقب من غير أبنائه مع كونهم مدفوعين الى كراهيته من قسوسهم ، ويحملون على الطعن فيه من رهبانهم . وانظر رعاك الله الى هذا الفاضل أعنى المسيو ميسيمير كيف يرى أن أساس الاسلام أرفع منه فى المسيحية ، وأنه الدين الذي أتى على الضار من العادات فحرمها والمحاسن فامر بها . أو ما تأملت كيف دعاه الحق الى الاعتراف بفضله وأن فيه ماليس فى غيره . على أن مانقلناه اليك قل من كثر ، فاليك شيئاً أبدع وأطرف :

يقول هذا الفاضل بعد . . (فدين الاسلام جاء ليوفق بين جزء عظيم من بنى آدم كان يقاتل بعضهم بعضاً بسبب الاديان السابقة وينشر العلوم بين أمم كانت قبل مجيئه فى الجهل) الى أن يقول (ان التوحش كان متسلطا عليها - يعني الأمم - وأن القليل من النبهاء الذين كانوا موجودين وقتئذ كانوا منهمكين فى المجادلات الدينية اذ نشأ من ابهام أحكام الدين المسيحي تفاسير لا تعقل ، وصارت البلاد النصرانية ميدان حرب تجرى فيها الدماء كالامواج ، بما أن أهل تلك البلاد كانوا ينباحثون وبأيديهم الاسلحة فى كون الاله واحداً أو ثلاثة وفى كنهه وحقيقته بينما كان الفسق والفساد يوقعان الفشل بنظام الجمعية البشرية . وبينما كان الجوتليون والهنس ، والفرس يتممون خراب ماأسسه الرومانيون فلا شك حينئذ أن الدنيا كانت فى هذا الوقت — أى وقت ظهور محمد صلى الله عليه وسلم - محتاجة لمن ينقذها من الاهوال التى كانت فيها)

أرايت أيها القاريء الكريم كيف كان ظهور الدين الاسلامى أسمعت مايصفه به قلم هذا المسيحى الصادق ؟ أن محمداً عليه أفضل الصلاة والسلام فى نظر أمثال هذا من العقلاء صادق فى نبوته ومجيئه كان منتظراً ، والعالم فى حاجة إلي ذلك ماسة . ولكن كبر

ذلك على من لم توافق هذه الحقائق مصالحهم فعمدوا الى الافتراء والدعوي الكاذبة ، فلا يغرن المسلمين هنا وهناك مايجرح الفؤاد من المبشرين الكذبة فهم لاينتظر منهم ان يقولوا الا مايقولونه وأن دينا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لهو دين العقل ، دين المنطق ، دين الحكماء الا لى يتجردون عن غير عاطفة النظر الصادق والبحث الخالص فهؤلاء هم الذين تسمع أقوالهم ، إذ لا تعصب ولا انحياز . أما الألى اطارت عقولهم نزغات شياطينهم فليسوا بجديرين بغير الازدراء كمن يشك بنفسه أو يعتقد بما هو أوهى من بيت العنكبوت بناء ، أو يذهب فى مباحثه الى السباب والشتم ولعمرك أنه يحزننا ويجرح أفئدتنا أن نذهب فى إقامة الادلة على أن ديننا هو الحق الى مايقوله البعيدون عنه وهو الشمس المتلألئة وما فيه مبسوط ولكن زمنا فيه يستنسر البغاث ويظهر بيننا كل مفتون يدعى مايدعيه يدعونا الى كتابة مقالات نبين فيها ماقاله غير المسلمين فى الاسلام وشهدوا له بنصاعة أدلته ونهوض براهينه ليكون ذلك ممهداً لما سنكتبه ان شاء الله عن حقيقة هذا الدين الحنيف ونتطرق اليه من مباحث طريفة وسنعود اليك ببقية أقوال هذا الفيلسوف أعنى المسيو ميسمير فقيها مايصح أن يتخذه

المسلم حجة يقذفها فى وجوه هؤلاء المبشرين الذين يعيشون فى ديار الاسلام فساداً وفيه أن الاسلام دين المدنية وغيره بخلافه. والفضل ماشهدت به الاعداء ...

— ٢ —

حكمة الرسول عليه الصلاة والسلام — الوحدانية فى الأسلام القرآن والأدلة — الحث على العلم

قال المسيو ميسيمير « من تسافه وأنكر صدق محمد فقد بت هذه المسألة بدون أن يحلها ويبين أسباب نجاح صاحب الشريعة الاسلامية وعند الفلاسفة المحققين أن الرجال أولى العظمة الذين تبقى أعمالهم على مدى الدهر هم من أهل النباهة الكبرى الذين يجيئون لاصلاح العالم ولشفاء عصرهم من مرضه » الى أن يقول « وما فعله محمد هو أنه لما رأى ضلال الناس فى معرفة الخليقة عزم على ارشادهم وتطبيق قوانين الطبيعة على أمور العالم بقدر ماكان معروفا فى ذلك الوقت . ولذلك أعلن الوحدانية الالهية بدلا عن الخرافات التى مقتضاها تثليث آله وجعله مركبا من الاب والابن والروح القدس. فالوحدانية هى أساس دين الاسلام وسبب نصرة محمد »

نحن لانود أن نعلق على هذا بشىء ، فما جاء فيه صريح فى أن

الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام كان حكيما وعظيما ومصلحا وان دعوته كانت إبان ذيالك العهد باسما لجروح العالم وهدى لضلاله ، ونوراً لظلامه ، وقائداً الى الخير والسعادة . وان ماكان عليه الاقوام من تخبط وتعثر هو الذي كان مدعاة لان يبعث الله إليهم رسولا ، ليكون حجة عليهم ، فلا يفرون من طائل عذابه ، وشديد عقابه ، وان سيدنا فخر العرب والعجم كان يوجه الناس الى الله والصراط القويم بنواميس حكيمة ، وآيات بالغات ومعجزات خارقات ، ويورد الدليل قبل القول والبرهان قبل العمل

ثم يقول هـذا الفاضل « أما قول المسيو رينان بان الخلفاء العباسيين كانوا أهل شك ، واستناده فى طعن دين الاسلام على ذلك فهو فى غير محله ، فان عدم التسليم بالآراء قبل معرفة الدليل عليها مطابق للقرآن ... »

ومعنى ذلك أن المسيو ميسمير يعتقد أن القرآن يأمر أهله باعمال الفكر والروية ، والتدبير قبل الاقدام على الشيء فهو وما جاء به معقول موافق لسنن الطبيعه ، ومطابق لما تقتضيه الحياة الاجتماعية الحقة الخالية من الزخرف الباطل ، ولا يطلب من أهله أن يكونوا آلة صماء عند حد معلوم ، عقولهم فى دوائرها مسجونة : كما هو

شأن غير المسلمين الذين لايحيرون نطقا ، ولو كان للاحجار لسان لنطقت بفساد مايدينون به، ولقالت لهم إنكم لفى ضلال مبين، ومعنى ذلك أننا معشر المسلمين وحدنا أمنا بالله الايمان الحق الذى لايخالطه ريب ولا تشوبه مرية ، هذا هو القرآن كما يشهد له أعداؤه قائم بالبرهان كالشمس فى رابعة النهار ، فمن شاء فليقرع الحجة بالحجه لابهراء القول والسفسطة الكاذبة ، ولا بالجهل الفاضح والعقول الزائفه ....

أما مايقوله « رينان » عن الخلفاء العباسيين وان عصرهم كان عصر فلسفة وروح يناهض ماجاء به الدين الاسلامى فقد رد عليه بما نقلناه إليك صاحبنا الفاضل . ونحن نزيد على ذلك ونقول أن العباسيين وذيالك العصر الذهبى الذي ازدهى بالعلوم والمعارف يوم كانت أوربا فى جهل دامس ، وظلام حالك من التخبط . لم يكونوا ولم يكن الاسلام أو فلنقل لم تكن فلسفة مناهضه أية مناهضة للدين بل بالعكس ، فديننا لاتنافيه الفلسفه ، والفلسفة ماهى إلا حكمة وجرى وراء المعقول ، والدين الذي يدعو الى اله واحد ليس له شبيه ولا نظير ، هو الدين الحكيم الذى يجب أن تسير بهديه الفلاسفة والحكماء...

كان ذلك العصر ، عصر أولئك الخلفاء ، أكرم الله مثواهم ، عصراً فياضاً وينبوعا ثراراً بالايات والحكم المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ، ومظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية السامية الذرى فى الاسلام ، وكان عماد هذه الحياة التمسك بحبال الدين ، والاعتصام بأركانه المتينة وأساسه قائم على العقل وحده . أما أن يصم رينان العباسيين بأنهم أهل شك ، فظاهر لانهم جمعوا اليهم جموع العقلاء وضموا الى مجلسهم فحول الفلاسفه والعلماء وكانوا اليد العاملة فى سبيل دك معالم غير الديانة الاسلاميه ، والشك فى كل ماهو غير معقول من تلك الديانات الباطلة ، حتى فى الشك فى أن معتنقي غيرها عقلاء أو من بنى البشر .. أجل أجل ، وانه ليحق فى عرف التعصب الاعمي لرينان أن يحمل على العباسيين حملته ، وماضر ذلك الاسلام شيئاً ولكنه أثبت تغرضه وكان مثله كمثل هؤلاء المبشرين الذين ينتشرون فى ربوعنا يتشدقون بأفواه كان حقها أن تلقم أحجاراً وغير خاف علينا أن المبشرين يرسلون من وراء البحار وظاهر الامر نشر الثقافه الأوربيه كما يزعمون وفتح المدارس ، وغير ذلك مما يملأون فيه الملأ دعاية ويجعلونه سبيلا ليتوصلوا الى مايشاؤون ، وغير خاف أيضا أن أوربا كلها لاتكاد تعترف بوجود إله فضلا

عن نبذ دينها قصيا واذن فلماذا يرسلون المبشرين الى بلادنا؟ والجواب على ذلك أنهم يحاولون أن يصيرونا مثلهم لادينيين ندين بالطبيعة ونسير بالهوى والشهوات ليتسنى لهم أن يحولوا مجري الشرق عن وجهته ويستعبدوه استعباداً لاتحرر بعده ،ولاينم ذلك الا بتشكيك أعاظم الشرق أعنى المسلمين بديانتهم وعقائدهم .فمقصدهم سياسى أكثر منه دينى بل استعماري ليس الا ، ولكنهم بحول الله وقوته لن ينالوا من أمة عقيدتها راسخة وإيمانها قوى أى مأرب ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً

وأرانى قد اجتزت المقام الى غيره ، ولكن هى الغيرة تملك القلم فتسير به حيث تشاء ، وما تشاء غيرة كل مسلم الا الحق وكفى به هدفا ، وكفى به كعبة واماما

ويقول المسيو ميسمير : قال تعالى « ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً » وقال « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الفاسقون » وقال « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » وقال « لكم لكل أمة جعلنا منسكاهم ناسكوه فلا

ينازعنك فى الأمر وادع الى ربك انك لعلى هدى مستقيم» وبهذه الآيات يظهر لنا أن دين الأسلام يأمر بالوفاق ويعترف بنبوة موسى وعيسى ويعظم قدر مريم ، وأبى للعرب مالم يخالف ماأمر به من عوائدهم ووعد بالجنة كل من عمل باوامره الصحية « تأمل .. » ومن لم يعمل سوءاً وآمن بالله وحده . ومحاسن دين الاسلام تظهر فيما ألفاه محمد عند هدم الأصنام التى كانت على الكعبة « وهنا ذكر المسيو ميسمير كثيراً من خطبة الرسول فلتراجع » فهل يجوز لنا جهل حقيقة معني الاسلام فى زماننا هذا أعنى زمان المباحثة بأفكار مستبدة حرة كما يفعل الأكثرون »

فى هذا يرد المسيو ميسمير على « رينان » الذى وصم الاسلام بوصمة الفوضى والتهور والجنوح الى غير الوفاق مع باقى الشعوب، وهو باستشهاده بالايات يقول أن الدين المحمدى جاء الى المسيحيين وغيرهم بالمعقول وقال لهم آمنوا ، بما آمنت به العقلاء ، آمنوا بالله وحده ويحكم لاتجعلوا لله نداً وشريكا ، ويحكم لاتقولوا على الله كذبا ، ان المسلمين قالوا بلسان دينهم ذلك ، ولكن غيرهم انقضوا بكبرياء الجهل ، وقابلوا قول المسلمين بتصعير الخدود فياويلهم من يوم تقشعر منه الأبدان وتذوب منه الجلود ....

بهذا يشير المسيو ميسمير الى محاسن الدين الاسلامي ، فهل للمبشرين عليه حجة ، أم هم قوم مكابرون ؟

المسلمون لا يقاومون بالسيف ، انما بسديد المنطق . فياهؤلاء اعلموا أن ديناً تبعث آياته الساحرة وحكمه الباهرة منكم أنتم أعداء نواميسه الحقة من يقر ويعترف بفضله لا يكون دين الأوهام كما تتشدقون ولا دين الانحطاط والتقهقر كما تتقولون ، إنما هو دين تمشى العلياء الي جانبه ، دين أقل مافيه أنه دواء لأدواء العالم الاجتماعية ، ومعضلاته الكونية ، وما كان للعقلاء أن يجنحوا لغيره لولا أن الله طبع على قلوبهم وعلى أبصارهم وقضي عليهم بالشقاء والحرمان من السعادة الأخروية . نحمده تعالى على أنعامه بها على كل من اتقاه وخشى عقابه فبادر لما فيه رضاه

فيا أيها المسلم لا تجزع ، فوربك لو كان في دينك أية ثغرة يستطيع النفاذ منها هؤلاء المبشرون الى صميم فؤاده لما بقيت دعائمه كالراسيات تهزأ بهم وتضحك عليهم ولما كانوا

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وثق بمناعة دينك ، ودافع عنه ببطولة ، وكن دليل خير إليه ، ودعهم يتخبطون كيف يشاؤون

-٣-

الاسلام والعلم كيف وصل المسلمون الى الدرجة العليا في القرون الماضية - للاديان والممالك اعمار - توقف تقدم العالم على الاسلام

قال المسيو ميسمير «قال الكاتب مراشى الذي كان موجودا من منذ قرنين : أن الدين المحمدي حفظ ما كان معقولا من الدين النصرانى وزاد عليه كل ماهو موافق لقانون الطبيعه . الا أن هذا الكاتب لم يمكنه بيان أسباب انتشار العلوم الدى صحب الاسلام عند ظهوره ، مع أن هذه الاسباب توجد فى القرآن والحديث الي أن يأتى الى قوله «ومن تأمل ماورد فى القرآن رأى أن محور الاسلام الوحدانيـة ، وقطبيه المؤاخاة وتحسين شؤون العالم بالتدريج بواسطة العلم فهذه هى حقيقة أسباب نصرة الاسلام »

هذا مايقوله المسيو ميسمير عن العلم والحث عليه فى الاسلام وانا ليحضرنا من أقوال أقطاب المسلمين فضلا عن الاحاديث المعلومة المشهورة قول الامام الجليل خليفة رسول الله عليه الصلاة والسلام سيدنا على بن ابى طالب كرم الله وجهه « الامانى تعمى أعين البصائر ، لاتجارة كالعمل الصالح ، ولا ربح كالثواب ، ولا فائدة كالتوفيق ، ولا حسب كالتواضع ، ولا شرف كالعلم» وقول

سيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنه « ملاك أمركم الدين وزينتكم العلم »

نعم نعم الاسلام هو الذى يحث على العلم ويشوق معتنقيه الى الجري وراءه بما أعده لهم من الجزاء والاحسان اذاهم عملوا : ولو أن المسلمين فى أقطار المسكونه ماتخاذلوا ولا تداعوا الى الرقاد ، وساروا على المنهج القيم الذى خطه لهم دينهم ، لما وصلوا الى هذه الحالة السيئة ، ولما كانوا مسودين لمن كان لهم بالامس أسياداً

وعجيب أن يقوم نفر من الغرباء عن الاسلام فيناصرونه بحملاتهم الصادقة على أمثالهم ، ويقوم من أبنائه من يتستر بستار التجدد والطفور الى الرقى بزعمه فيعمل على دك حصونه وهدم كيانه!

اللهم ان هذا الا وعدك الحق وان دينك الا مكين

ولو أن هؤلاء ممن عقلوا ، وحكموا الضمير - ان كان هناك ضمائر - لما رموا الدين بالجمود ، وأهله بالقعود ، ولكانوا يعملون أولا الى أعداد ناشئة تتخلق باخلاقه الشماء وتتعهدها الايدى المخلصة ولكونوا لهم وحدة لاتنفصم عراها ، وتتدلى ذراها ، ولأخذوا عن الغرب مابه الغرب سادهم ، ولنبذوا ما الغرب منه يشكو ويصرخ أما أن يصموا غيرهم بالجمود وهم قاعدون ، ولا نرى من التجدد

والتمدين فيهم الا الاختلاف الى الحانات ومخاصرة الراقصات وغشيان دور المومسات ، فذلك لما يدعونا الى البكاء على الاسلام ان كانوا هم دعاة إصلاحه واركان اعادة مجده

ألا فليقبع هؤلاء ويلزموا الحدود فانهم والله اعدى على الاسلام من أعدائه . ألا فليسمعوا ان كانوا يعون مايقوله المسيو ميسمير وهو من رجال الغرب معبودهم اليوم ، فاذا كان مثل هذا الرجل — وهم ليسوا بشيء بجانبه - يشهد للدين الاسلامي بحضه على طلب العلم ، وان العلم والدين أخوان أفيكون لهرائهم وأقوالهم من قيمة ، أيقام لها وزن أم تلف وريقتهم وترد صفعاً في الوجوه

عذراً عذراً ياحضرة القاريء فلقد شط بي ألمي مما أراه وتراه ولنعد الى العاقل المنصف المسيو ميسمير ، واسمع أنت والعقلاء مايقوله بعد. قال : « وقد حدد المسيو رينان لرفعة بلاد الاسلام خمسمائة سنه والحال أنها تزيد عن ذلك بكثير ، فانه بعد هبوط دولة بغداد ودولة قرطبة جاء السلطان سليمان ورفع عظمة الاسلام الى أقصى درجة . فعند وفاته كانت دولة الاسلام تحتوي على مائة وعشرين مليونا من النفوس يهابها جميع سكان الارض لقوتها الحربية وحكمة نظامها ودراية أحكامها وازدهار تمدنها . وما ابتدأ

الا ضمحلال الا من بعد حصار مدينة فينـة سنة ١٦١٢ م كما ابتدأ اضمحلال أسباتيا بعد وقعة روكراد وعند ذلك يلزمنا الاعتراف بان عظمة الاسلام تحت سلطة العثمانيين كانت كعظمته تحت حكم العرب . فمن يجهل ماكان للترك من الرفاهية والعظمة والمقام فى رفعة الاسلام فليقرأ المؤلفات المشهورة كتاريخ الحروب تأليف مونتلوكي

وفى سنة ٧٤٣ م أعنى بعد مائة واحـدى وعشرين سنه من وفاة ـ محمد صلى الله علية وسلم ـ كانت دولة الاسـلام أكبر من دولة اسكندر المقدونى وقدر مملكة قيصر تقريبا : وفى سنة ١٥٦٦م عند وفاة السلطان سليمان كانت أكبر من مملكة الرومان . فبذلك يتضح أن عظمة الاسـلام مكثت الف سنة وكل من يعرف أنه لايمكن الوصول الي مثل هذه الدرجة العليا فى الامور السياسية والحربية الا بالعلوم يجزم بان الاسلام كان متقدما فى العلوم والتمدن»

يستشهد المسيو ميسمير على مايقول بشواهد تاريخية مهمة يقارع بها مفتريات رينان فقد جاء رينان فى طعنه فى الدين المحمدى عن طريق التاريخ وخبط خبط عشواء شأن الجاهل فى الحقائق أو المتجاهل ليسدل على الحق ستار الباطل ولكى لايدع مجالا للغربيين فى أوروبا الي رد مفترياته المبنية على أسس غير سديدة إذ نعت

العباسيين بما سبق لنا نقله آنفا ، وهو الآن يتحول الى الاتراك ودورهم . ولا يهمنا أن نأتى على أقواله اذ مالاجدوى فيه لاجدوى فى الاطلاع عليه ، وان مانحن فيه هو نقل عبارات صاحبنا ، وانه ليظهر لك جليا منها اعتقاده ان الدين الاسلامى يسير مع المدنية حيث سارت والعلم حيث حل ، وقد عزا حضرته السبب الوحيد فى تسنم المسلمين ذرى المجد ، وفتوحاتهم العظيمة الى ماكان عندهم من علم وتمدن بقوله : وكل من يعرف الخ

وان أمة يخفق بندها ، ويرفرف علمها على أقطار لم يسبق لغيرها أن تسود عليها ، سيادة المصلح العامل على خيرها وسعادتها لاتكون فقيرة فى علمها وفى تمدنها ، غير ضاربة من التجدد بسهم وافر ، التجدد المصطلح عليه عند العقلاء لا تجدد دعاة الأباحة المدافعين عن العهر والفجور

ثم قال حضرته « كما ان كل من يعرف أن للاديان والممالك أعماراً كالاشخاص تنمو ثم تهرم ثم تموت يعرف أن ماوقع للاديان والممالك الأخر كان لابد من وقوعه للاسلام ومملكته ، ومع ذلك فالاسلام قبل أن يأخذ فى الاضمحلال قد أدي ماوجب عليه اذ كان الواسطة بين تمدن الاغريقيين والرومانيين وزمن إحياء العلوم

عندنا، ولولاه لوقف تقدم العالم مدة قرون عديدة . فهذا هو فضل الاسلام وقد سمي المسيو ليتريه تمدن العرب بزمن احياء العلوم » اه

يعنى المسيو ميسمير فى الاسلام هذه المرة دولته وسلطانه ، وصحيح مايقوله : فكما أن للأقوام والشعوب أعماراً كذلك للأديان باهلها أعمار ، فالاسلام فى صدره غيره فى زمننا الحاضر ، وشتان مابين العهدين الا أنه يهمنا من هذا كله أن المسيو ميسمير يعترف بفضل المسلمين على غيرهم لأنهم كانوا أداة صالحة ويداً عاملة فى المجتمع الانسانى ، فهم انارو العالم بتعاليمهم التى انبعث منها ذيالك العلم الفياض الذي ملأ الاصقاع والربوع وصير الاوروبيين أنفسهم أناساً يقام لهم ويقعد ، وأنه قد أدى ماوجب عليه من انتشال الشعوب من وهدة الجهل وانهاضهم من كبوة الهمجية اذذاك

وانه لجميل منه ان يقول ذلك كله اذ عرفناه يعشق الحق مما قد نقلناه ولكن أجمل منه ان نتدبر هذه الاقوال وأن ننظر الى انفسنا اليوم وما آلت اليه حالتنا وكيف ان الاجداد قد انتشلوا الامم من مهاوى الجهل ونحن فى ليل يكاد لايرى أحدنا فيه الآخر أما والله أن السبب الذى أودى بنا الى هذه الحالة هو اهمالنا تعاليمنا وتمسكنا بالقشور ، وجرينا وراء التقليد غير آبهين لمغبة التقليد السيء

وغير مبالين بنتائجه وأواخره العقيمة . ولو أن كنا كآبائنا في هدي الدين سائرون لما وصلنا الى مانحن فيه

ليس دين الاسلام بالدين الذى يقف دون التجدد ولكن في حدود الفضيلة ، فهيا بنا الى ذلك نرضي الله ورسوله ونعمل على ماعملت عليه المسلمون فى القرون الماضية فنفوز ونرجع ذلك العهد السامى ، هيا بنا .. !

- ٤ -

أسباب انحطاط المسلمين — توقف نجاحهم على انتشار العلوم — الشوري في أصول القرآن — ماذا على المسلمين من الواجب ؟

أسلفنا فيما تقدم زبدة ماقاله صاحبنا المسيو ميسمير . واليوم نقف والقارىء على كلمته الختامية وقد رأينا من المستحسن أن نذيلها باقوال أخرى لأفاضل مثله من كبار علماء أوربا وسنأتى عليها فى هذا المقال ان شاء الله ...

وفيما أسلفنا من المقالات ذكرنا ماعليه الاسلام من محاسن وصفات وخصال جلى حميدة لاتوجد فى غيره ، واستشهدنا على ماقلناه باقوال هذا الرجل العاقل الذي أضحى معروفا لدينا دون ذكر اسمه . واليوم

نأتى على أسباب انحطاط المسلمين ،والى القارىء ماقاله المسيو ميسمير فى هذا الشأن :

«وأما أسباب انحطاط المسلمين الآن فهى عدم الاشتغال بالعلوم فان التاريخ يفيدنا أولا أن تقدم العلوم فى وقتنا هذا حصل رغما عن الدين النصرانى ، وأن دين الاسلام لايمكن أن يبقى على قيد الحياة الا بانتشار العلوم وتقدمها فان بينه وبينها رابطة كلية ، وثانيا أن النصراني اذا صار عالما ترك دينه وأن المسلم اذا صار جاهلا ترك دينه ، فبأى وجه يمكن نسبة التمدن الحالى الى الدين النصرانى ، والحال أنه ماجاء إلا بعد خمسة عشر قرنا من ظهوره ؟ وبأى وجه يمكن نسبة انحطاط المسلمين الحالى الى دينهم والحال أنه هو السبب الوحيد فى تمدنهم السابق الذى مكث مدة ألف سنة وكان عاما مؤسسا على أصول الشورى المبينة فى القرآن ؟ فهل مات الاسلام ، وهل ينبغى تشبيه الهيجان الحاصل فيه بسكرات الموت ؟ ولايجيب عن هذا السؤال بالايجاب إلا من كان قليل العقل ، فالدين الذى له ملايين من النفوس مستعدون للمدافعة عنه بكل مايمكنهم ليس على شرف الزوال بل عمره طويل » الى آخر ماقال ..

ثلاث نقط مهمه نلفت اليها نظر القارىء من أقوال المسيو

ميسمير فى هذا المقال ، أما الاولى فقوله :

«أما أسباب انحطاط المسلمين الآن فهى عدم اشتغالهم بالعلوم»

ويرى القارىء معنا أن ذلك حق ، وعين الواقع ، إذ أن الاسلام ماتقهقر وما رجع الى الوراء وماذاق الذل ، ولقى الهون ، وعانى الخسف إلا حين شط به المزار ، وبعد عن جادة الفنون والمعارف التى يحث عليها شرعه ، وغرق فى بحار الخمول والكسل التى ينهى عنها دينه ، ويرى القارىء معى اذا ماقلب صفحات التاريخ كيف كان العباسيون والأمويون والاندلسيون ، وكم كان لهم من الشأن العظيم والمجد الباذخ ، وكيف كان الاسلام بهم عالى الشأن ، رفيع الجناب فى مكانة دونها مكانات الأمم ، له السيادة والسيطرة لاينازعه فيهما أي منازع ، يرى القارىء ذلك ويرى ، واترك له مقارنة ذلك بما عليه نحن اليوم

نحن فى عصر يدعونه عصر العلوم والفنون ، وكل أمة لا يكون لها نصيب من تلك الرياض ، ولا تجنى من هاتيك الاشجار الثمار اليانعة ، لاتقوم لها قائمة ، ولا تعد من الأمم الحية ، وما هى إلا أمة مهملة تتقاذفها أيدى الازدراء من كل قبيل ولا نرى أمة تقاعدت عن اللحاق بغيرها من الأمم ذات الوثبات ، وربات النهوض الا

وقسط أوفر من الذل والخنوع نالها ، فتنام على القذى وتفترش من العيش أشظفه ، ومن الحياة أتعسها ، فوالهفا على المسلمين اليوم لقد أهملوا ماجاء به دينهم فأهملوا ، ولقوا مالقوا ...

وأما النقطة الثانية فهى أن هذا التمدن ، والرقى ، والاختراعات والخوارق وما تراه عيناك وتسمع به أذناك عن ديار الغرب ماكان للدين النصرانى به من أثر ، بل حصل بالرغم عنه كما يحدثنا عنه أحد أبنائه . وان الدين الاسلامي هو الدين الوحيد الذى يفسح لمعتنقيه المجال ولا يحصرهم فى دوائر ضيقة فهل يسمع هذا المبشرون أم هم بعد فى طغيانهم يعمهون ؟

على أنا لانوافق المسيو ميسير على كلمته باطلاق ، بل نبرىء المسيحية الحقة التى ليست مشوبة بالتحريف ، ونعتقد أن هناك مسيحية حقة ، وشريعة سديدة ، وفق الدين الاسلامي وقد جاء فيه وجاء فيها ، وما تقتضيه حكمة الحكيم فى الازل لاينقض بغيره ولكن عبث المحرفين ، ولعب اللاعبين ، أثبت ماليس فى شرع الله ونفى ماجاء فيه ، طلبا للسيادة وإيثاراً للانانية وحب الذات واستعباد الناس على خدمة الله وتبليغ أحكامه ، وقد رأينا المبشرين طلائع الاستعمار وأنصاره ودعائم وجوده ، وما أحبار هؤلاء القوم الاعلى

أنفسهم يجنون ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون

وأما النقطة الثالثة فمدار البحث فيها نفى ماافتراه رينان على المسلمين وعزوه الانحطاط الى شيء فى دينهم . وقد رأى القارىء كيف أن المسيو ميسمير كان فى رده مفحما لخصمه بيده اليمنى الدليل وفى اليسرى المنطق السديد ولا نذهب بالقارىء بعيداً فى ما قاله صاحبنا المنصف عن أسباب الانحطاط. وأن السبب الوحيد هو توقف انتشار العلوم فى ربوعنا . اذ فيما نراه مصداق على مانقول. فتلك ربوع الاسلام تكاد تكون غارقة . والمفكرة منها لم تسر على هدي بل سارت تتخبط يميناً وشمالا فى صحارى التقليد الاعجمى ولو كان تقليداً فيما فيه الخير اذن لقلنا خيرا ولكنه -ويا للدين من أبنائه تقليد فى أقبح مايراه الانسان قبيحاً وأفظع مايراه المرء فظيعاً

اذا أراد النفر منا أن يتقدم الى الأمام. أو يعتلى مركزاً . أو يصيب نصيبا من علم ما ، عمد الي معول به يهدم دينه واذا تاق امرؤ أن يقال عنه فلان العلامه المحقق والعذيق المرجب تناول من كتاب الله مايتناول وافتري عليه بما هو براء منه فكان الدين هو الهدف الذى يجب ان يصوب المتفرنجون سهامهم إليه وكانه العقبة الكؤود تقف دونهم وما يودون نعم لانه يأمرهم بالمعروف وينهى عن

المنكر وهم يبغون الانطلاق فى كل شيء حتى فيما لا يرضى الله ورسوله واذا قام آخرون يدعونهم الى الحق وينادونهم: أن توبوا الى رشدكم لعلكم تفلحون انقلبوا على أعقابهم وقالوا مالنا ولهؤلاء ان هم إلا قوم جامدون

والقوم الذين يتعلقون باذيال دين يشهد له عقلاء أعدائه بما فيه هم فى نظرهم قوم غير متجددين أما أولئك الذين لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فمتمدينون راقون ! سبحانك اللهم تهب الهدى لمن تشاء وعلى كل شيء أنت قدير

أخلاق وعادات وأزياء وأطوار وفلاسفة ودكاترة وقطاحل وعلماء

وكل يدعى وصلا بليلى وليلى لاتقر لهم بذاكا

واذا كان هذا حال المسلمين فهل ترجي أن تقوم لهم قائمة لا وربك أيها القارىء ولينزلن بنا أعظم مما قد نزل جزاء بما عملنا من سوء . وليحيقن بنا أشد مما قد حاق بما اقترفنا من اثم ان لم نتب ونرجع الى حظيرة الدين الحنيف والى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين أهدنا اللهم اليه آمين

يجب علينا اليوم أن نعمل ولكن فى حدود ديننا وقد رأينا مما

تقدم أنه الدين الذى يوافق كل عصر لاعلاء كلمتنا . وجمع شتاتنا والذب عن سالفنا وحاضرنا كما يقول المسيو ميسمير : (فيا رجال سياسة المسلمين يجب أن يكون الغرض فى سيركم الذب عن سالفكم والمحافظة على حاضركم والتهيؤ للمستقبل)

ذلك الدواء يصفه لكم أيها المسلمون هذا الصادق وانه لناجع أما الطعن فى السلف الماضى والتفاخر والتشدق والتحدث بما قال ديكارت وكانت وداروين وغير هؤلاء فانه لايجدى أيامنا نفعا نعم يجب أن يكون الغرض من سيرنا الذب عن سالفنا ومن أولى بذلك من كتاب الله الذى يجرؤ عليه غرمفتون ، أعمى الله بصره وبصيرته معا ، ويجب أن نحافظ على حاضرنا ومن أولى بهذا من اصلاح البيئة وحثها على التمسك بالدين الحنيف . ويجب أن نتهيأ للمستقبل ومن أولى بذلك من ناشئتنا التى أمست بعيدة عن الدين بعد الثريا عن الثرى فيجب أن تعرف هذه الناشئة الراقية كما يقولون قبل كل شىء حقائق دينها ، يجب أن تدرسه درسا عميقا قبل أن تدرس تاريخ أثينا وروما والهنس والفاندال ليتسنى لها أن تحيا حياة مطمئنة فيها على نفسيتها تدفع مايعرض لها من الشبهات بايمان قوي مكين لا بالحاد يلتطم معها فيذهبون الى مالا يحسدهم عليه

عاقل ويتمناه أى بشر

يجب أن تترسم هذه الناشئة وتفقه مايقوله الفلاسفة الحقيقيون فى ديار الغرب عن دينها وألا تلتفت لهراء مايلقى على مسامعها من الاباطيل والترهات . يجب أن تقرأ مايقوله القسيس لوازون

قال هذا فى خطبة ألقاها فى دار الأوبرا الخديوية سنة ١٨٩٦ مانصه:

«وليس محمد نبي العرب وحدهم بل هو أفضل نبي قال بوحدانية الله ، فان دين موسى وان كان من الأديان التى أساسها الوحدانية الا أنه كان قوميا محضا وخاصا ببني اسرائيل ولم يكن التعبد عليه ممكنا الا فى بيت المقدس أما محمد فقد نشر دينه بقاعدتيه الاساسيتين وهما الوحدانية والبعث وقد أعلنه لعموم البشر فى انحاء المسكونة وانه لعمل عظيم يتعلق بالانسانية جملة وتفصيلا عند من يدرك غايته

« فالديانة المحمدية اذن مع كونها من بعض الوجوه خاصة بالعرب وبعصر ظهورها هى للنوع الانسانى الديانة العامة الخالدة» انتهى

ويجب أن تسمع أيضا مايقوله (اسحاق تيلر) رئيس كنيسة الانجليكان «الاسلام أفاد المدن أكثر من النصرانية ونشر راية المساواة والأخوية »

وماقاله هو نفسه كذلك (الاسلام ينشر لواء المدنية، المدنية التى

لا تشوبها أدنى شائبة المدنية التي تعلم الانسان مالم يعلم، القائلة بالاحتشام في الملبس الآمرة بالنظافة والاستقامة وعزة النفس فمنافع الدين الاسلامي منافع لا ريب فيها وفوائده من أعظم أركان المدنية ومبانيها»

وأيضا « وأن ماعند المسلمين من شريف الخصال كالتسليم في الامور الى ذي الجلال وتمسكهم بالعفاف واظهار الولاء واتباع الاستقامة ثم الأخاء لاحسن لاحسن مايجب أن تتشبه به وتنسج على منواله »

ليتامل المسلمون مافي هذه الشهادات من تقدير لما في دينهم من عقلاء الغرب وليعملوا به وليسيروا على سننه فذلك خير لهم وأبقى

وختاما نزف للقراء نبذة من كتاب المستر بوسورث سميث المسمى (حياة محمد) صلى الله عليه وسلم وهي :

« من حسن الحظ الوحيد في التاريخ دون غيره هو أن محمداً أسس في وقت واحد ثلاثة أشياء من عظائم الأمور وجليل الأعمال فانه مؤسس لأمة وامبراطورية وديانة، ومع أنه أمي وقلما كان يقدر أن يقرأ أو يكتب فمع ذلك أتى بكتاب هو آية في البلاغة ودستور للشرائع وللصلاة والدين في آن واحد »

ونبذة أخري للفيلسوف داودار كوهارت قالها في مقدمة

كتابه (روح الشرق) هى :

أن الاسلام دين لا يأمر باتباع عقائد جديدة ولا يقول بتنزيل وحى جديد أو سنن جديدة ليس فيه كهنوتيه أو معابد سياسية فيه دستور الأمم ونظام الممالك كما هو واضح فى هذا الدين باوضح بيان»

وبما قاله الفيلسوف المنصف المسيو ميسمير وقاله غيره ممن أشرنا اليهم والي أقوالهم نتقدم الي حضرات القراء راجين أن نكون قد أدينا واجبا فى زمن تقاعس عن القيام بالواجب كثيرون ونسأل الله أن يهدينا واياهم سواء السبيل

﴿ اعتذار ﴾

جاءنا والرسالة ماثلة للطبع من الأخ الاديب الشيخ يوسف عبد الرزاق المشهدى ، قصيدة فريدة، ودرة يتيمة، تقريظا، ومشاركة لنا فى هذا العمل الذى يعتقد بوجوبه الصديق، فنحن نشكر لحضرته هذا الشعور الطيب ونعتذر عن نشر القصيدة وعما تفضل به غير واحد من الأدباء اذ المقام ضيق ونعتقد فضلا عن ذلك أنا لم نأت بشيء يستحق تقريظا أو مدحا ؟

297.04:L11iA:c.1
اللبابيدى ،محمد رفيق
الاسلام وانصاره العقلاء
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01005812

American University of Beirut

297.04
L11iA

General Library

297.04
LIIiA
c.1